د ـ فى الاناشيد

أنشودة طفل عند نومه

نام طفلى نام طفلى ... مَعَهُ قَلْبِى وَعقلِى
ناظِرًا حِينَ المنامْ ... نَحْوَ وَجْهِى بِابْتسامْ
رَدَّدَ الطَّرْفَ إلىّ ... إنه مال علىّ
وغفا يُمْسِكُ ثوبى ... إنه يُمْسِكُ قلبى
يا « سَعاداتُ » احْمِليه ... وعلى الفرش ضَعيه
وخُذيه بتأَنٍّ ... وله سقِّى وَغَنِّى
يا مَليحَ الوجه يا ابْنِى ... صغت منْ ظَرْفٍ وحُسن
نَمْ إلى سَجْعِ الحَمامْ ... فى أمانٍ وَسَلَامْ
حاطَكَ اللهُ الكريمْ ... ولك الخَيْرَ يُدِيمْ
ما شدا الطير وناحا ... واكْتَسَى الزَّهْرُ صباحا
لؤلؤَ الطلِّ وشاحا ... وبطيب النَّشْر فاحا

نشيد الصباح

يا مرحباً جاء الصباحْ والليل كالمهزوم راحْ
والديك فى النُّيَّام صاح يشدو بحىّ على الفلاح
ويُسبِّح الله الكريمْ

يا بنتُ هُبِّى تُحْمِدِى وبخيرة الناس اقْتَدى
وعن المكاره فابْعُدى وإلى المكارم فاهتدى
نحوَ الصراط المستقيمْ

هَلاّ نظرت إلى الأقاحْ والوردِ حين زكا وفاح
والطَّيْرِ إذْ غَنَّى وناح والطلِّ فى الأوراق لاح
فكأنه الدُّرُّ النظيمْ

قومى إذا الشمسُ بدت والوُرْقُ فى الروض شدَتْ
مَنْ عملت واجتهدت تقـــدَّمت وأفلحت
فالفوز بالجد العظيمْ

يا ربِّ يا مولى النعم يا من يُعَلِّم بالقلم
منك الهدى منك الكرم منك الشفاء من السقم
وبك الملاذُ المستديمْ

الحنان والأمل

الحَنَانُ وَالأَمَلُ

أُحِبك أَحْنُو عليـك فأنت ضـياء العُيون
تعـال فقلبي لدَيكَ مُقيمٌ إلى أن تَجيني
حَرام علىَّ المَنام إذا مامَرِضْتَ وتَشْـكو
حرام علىَّ الطَّعام وما أنت تَنْمُو وتزكُو
فأنت عَزَاءُ النُّفوس إذا الدهر يوما يَخُونُ
وأنت بِيَوْمٍ عَبُوس تُفَرِّجُ هَمًّا يَكونُ
شبيهك فى الروض زَهْر إذا ما سَقَتْه الغُيومُ
وَيَحْـكِيكَ فى الجو بَدْر حَوَالَيْـهِ تَزْهُو النُّجوم
ستبلغ شَأْوَ الرجال يُعِينـك رَبُّ السماء
ويا ربّ حَقِّق سُؤَالى فأنت سميعُ الدُّعاء

فى العجلة الندامة وفى التأنى السلامة

القُبَّرة وابنها

رأيت فى بعض الرِّياض قُبَّرهْ تُطَـيِّرُ ابنها بأعلى الشجرهْ
وهى تقول يا جَمالَ العُشِّ لا تعتمدْ على الجناح الهشِّ
وقفْ على عودٍ بجنب عودى وافعل كما أَفْعَلُ فى الصُّعودِ
فانتـقلتْ من فَنَنٍ إلى فَنَنْ وجعلتْ لـكل نُقْلَةٍ زمنْ

كى يستريحَ الفرخُ فى الأثناء ... فلا يَمَلُّ ثِقَل الهواء
لكنّه قد خالف الإشارهْ ... لَمَّا أراد يُظهر (الشَّطارهْ)
وطار فى الفضاء حتى ارتفعا ... نخانه جَناحُه فوقعا
فانكسرتْ فى الحال رُكْبتاهُ ... ولم يَنَلْ من العُلا مناهُ
ولو تأنى نالَ ما تمنى ... وعاش طولَ عُمْرِهِ مُهَنَّا
لكل شئ فى الحياة وقْتُهُ ... وغاية المُسْتَعْجِلين فَوْتُهُ
(الشوقيات)

﴿ إن كان الكلام من فِضة، فالسكوت من ذهب ﴾

« اليمامة والصياد »

يمامةٌ كانت بأعلى الشجره ... آمنة فى عُشِّها مستترَه
فأقبل الصياد ذاتَ يومِ ... وحام حَوْلَ الرَّوْضِ أىَّ حَوْمِ
فلم يَجد للطير فيه ظِلاّ ... وهَمَّ بالرحيل حينَ ملاَّ
فبرزَتْ من عُشِّها الحَمْقاء ... والحُمْقُ داءٌ ماله دواء
تقول جَهْلاً بالذى سيَحْدُثُ ... يأيها الإنسان عَمَّ تبحث
فالتفت الصياد صَوْبَ الصوتِ ... وَنَحْوَهُ سدَّدَ سَهْمَ الموتِ
فسقطت من عَرْشِها المَكينِ ... وَوَقعَتْ فى قَبْضَةِ السِّكينِ

تقول قَوْلَ عارفٍ مُحقّقِ مَلكتُ نَفْسِي لَوْ ملكت مَنْطقِي

(الشوقيات)

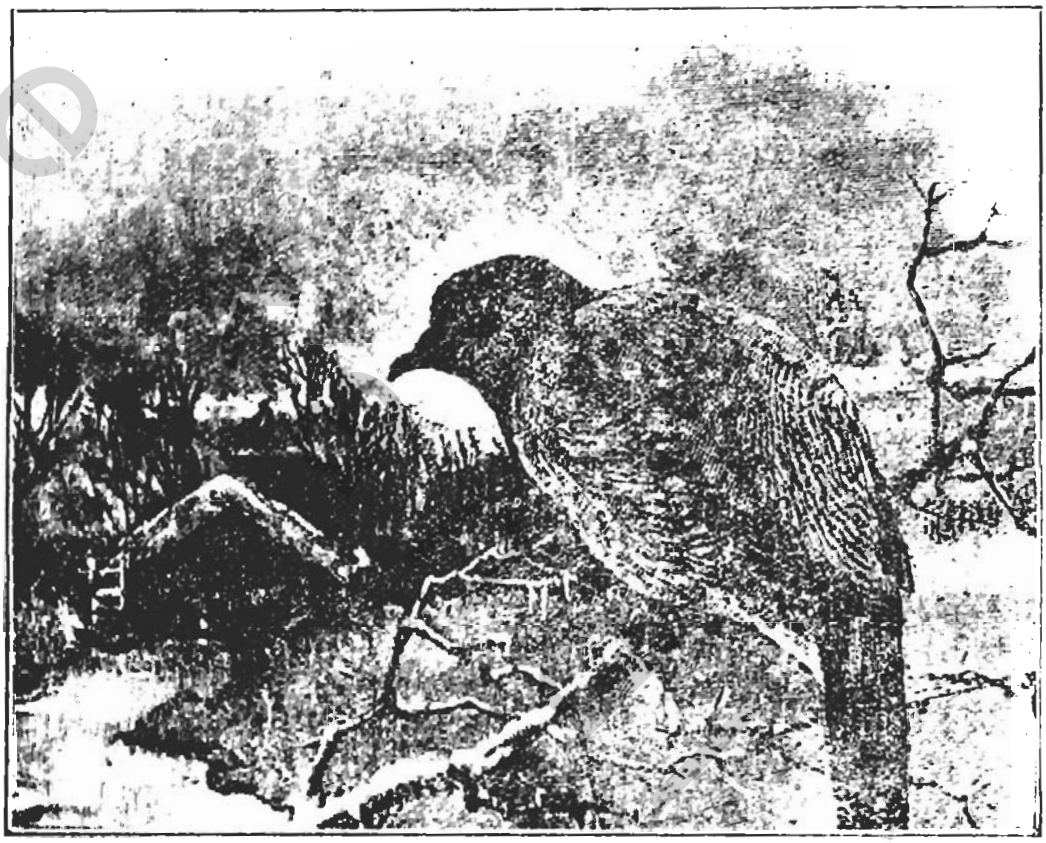

مَلَكْتُ نَفْسِي لَوْ مَلَكْت مَنْطِقِي

٥ ــ تراجم بعض مشهورات النساء

﴿ بلقيس ملكة سبأ ﴾

اشتهرت بِلْقِسُ بقصتها المعروفة مع سليمان بن داود عليهما السلام ، وورد ذكرها فى القرآن وغيره من الكتب المنزلة . ذلك أنه كان لها مُلْك عظيم واسع الأطراف ، حاضِرَتُه سبأ فى بلاد اليمن . وكان لها من المجد والسُّلطان ، والعز والشرف ، ما يُضرب به الأمثال ، حتى قال بعضهم : إنه كان تحت نفوذها أربعمائة ملك ، يَسْتَظِلُّونَ برايتها ، لكل منهم جيش يبلغ أربعين ألف مقاتل . وأما عرشها الوارد ذكره فى القرآن الحكيم ، فقيل إنه كان سريراً ضخماً من ذهب وفضة ، مرَصَّعاً بالجواهر الكريمة ، وكان فى جوف سبعة بيوت عليها سبعة أغلاق ، كل بيت داخل الآخر ، وهو فى آخرها . وقيل كان مُقَدَّمُه من الذهب ، مُحَلًّى بالياقوت الأحمر والزُّمُرُّد الأخضر ، وَمُؤَخَّرُه من فضة ، مكللا بأنواع الجواهر واللآلئ . ولعل فيما تقدم من الوصف مبالغة عظيمة ، إلا أنه يَدُل على أن ذلك العرش لم يَسْبِقْ له مثيل فى الجمال والأبهة . وأما حكايتها مع سليمان فانه عليه السلام لما سمع بصيتها وأوصاف عرشها ، قال : « يأيها الملأ أيُّكم يَأْتينى

المَلِكُ سُلَيمانُ يَسْتَقْبِلُ بِلْقِيسَ مَلِكَةَ سَبَأ

بعرشها » فجاءه الهُدهُد ، وكان قد عرَف مكان بلقيس . فأخبره بخبرها ، ودله على مكانها . فكتب لها سليمان كتاباً وقال للهدهد : « اذهب بكتابى هذا فألقهْ إليهم » فوافاها وهى فى قصرها ، فرمى الكتاب فى حِجرها، فقرأته فاذا به « بسم الله الرحمن الرحيم ألاّ تَعْلوا علىَّ وأتونى مُسلمين » فأخبرت قومها بأمر هذا الكتاب فقالوا : «نحن أُولُو قُوَّةٍ واولو بَأْس شديد والأمر إليكِ فانظرى ماذا تأمرين » . قالت: إنى مُرْسِلَةٌ إليهم بهَدية فإن قبلها مَلِكُهم فهو من ملوكُ الدنيا فنحن أعزُّ منه وأقوى ، وان لم يقبلها فهو نبى من عند الله . فلما قَدِمَ الوَفْد على سليمان ومعهم الهدية ، ووقفوا بين يديه ، نظر اليهم بوجه طَلق ، ثم قال : « أَتُمِدُّونَنِ بمال فما آتانِىَ اللهُ خيرٌ مما آتاكم » ثم ردَّ الهدية . فرجع القوم وأخبروها فعلمت أنه نبى كريم . وشَخَصَتْ إليه فى مَوْكِب مَهيب ، محفوف بالجلال والعظمة . وجئ إليه بعرشها ، ثم دعاها إلى الاسلام فأسلمت ، وقيل إنه تزوجها . وتوُفِّيَتْ قبله فدفنها بالشام

آسية امرأة فرعون

إن فرعون طَغَى وبَغَى ، وتكبَّر وتَجبَّر ، حتى بَلَغَ من قَسْوَته وغِلظَتِه وسَفاهَة رأيه ،أنْ أمر بذبح كل من يُولد فى زمانه من الصِّبيان؛

لأن كَهَنَتَه أبلغوه أنْ سيُولد فى أيامه ولد ، يكون سبباً فى تقويض عَرْشه ، ونزْعِ مُلكه ، وإحلال المصائب والبَلوى به . فجعل يُثكِل الأمهات ، ويُحزن الأسرات ، من غير مبالاة . وكان لفرعون امرأة هى غاية فى الرحمة والشفقة ، نهاية فى العَطْف والإحسان ، اسمها آسية . وكان يحبها حبًّا جمًّا ، لكمالها ودَماثَة أخلاقها . فكمْ دفعت بَلاء ودَرَأَتْ مصائب ، و بدَّلت العسر يُسرًا ، حتى كانت رحمة للعباد ، فى زمن فِرْعَوْنِ الفراعنة ، وداهيةِ الدواهى . من ذلك حادِثُ سيدنا موسى عليه السلام . فقد جاء فى الأنباء أنه بينما كانت آسية جالسةً فى حديقتها الغنّاء ، وَرَوْضَتِها الفَيْحاء ، تجرى من تحتها الأنهار ، إذا بتابُوت قد أقبل ، عائماً على الماء يجرى الهُوَيْنَى ، حتى صار منها قابَ قوسين أو أدنى . فأمرت جواريها بإخراجه ، لاستطلاع أمره ، والوقوف على خبره . فلما فتح إذا داخله مولود كريم ، بَهِىُّ الطلعة مليح المُحَيَّا . فحرك منها عوامل الحَنان ، وتملَّكها من أجله الرِّفق والإشفاق . فأمرت به أن يحمل إلى داخل القصر ، وأن يُتَعَهَّد بالعناية ويُشمل بالرِّعاية . وما عَتَّم خبره أنْ ذاعَ فأُمر به أن يُقْتل . فحالت دونَ ذلك آسية ، وشفَعَتْ له عند فرعون . وما زالت به حتى استَحْياه « ليكون له عَدُوًّا وحَزَنًا » ، ورُبِّى فى داره حتى بلغ اشُدَّهُ ، ونال منه مانال . ويقال إن آسية هذه كانت ممن آمن بموسى فيما بعدُ . فأدرك فرعون منها ذلك ، فانقلب عليها وتبَدَّل حبه لها عِداء . ولكنها لم تكن تَعْبَأُ به ، لِما كانت تعلم من أنها على الحق . فلم يَغُرَّها منه

رَخاء ، ولم يَجْنَذِبْها إليه وعد ، بل ولم يَهَدِّدْها منه وعيد . وقد رُوِى في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم « خير نساء الجنة خديجة وفاطمة ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون »

تماضر الشهيرة بالخنساء *

وَفَدَت على النبي صلى الله عليه وسلم مع قومها فأسلمت معهم . وكانت أشعر أهل زمانها ، وهي من المعترف لهن بالفَوْق في هذا المَيْدان . وأكثر شعرها في رثاء أخَوَيْها مُعاوية وصَخْر . وكان معاوية أخاها لأمها وأبيها ، وكان صخر أخاها لابيها ، وأحبهما إليها . واستحق صخر منها ذلك ، لانه كان موصوفًا بالحلم ، مشهورًا بالجود ، معروفًا بالإقدام والشجاعة ، مَحْظوظًا في العَشيرة ، وقد كان من أجمل رجال العرب . فلما قُتل جلست الخنساء على قبره زمانًا طويلا . تبكيه وتَرْثيه بأبلغ ما قال الشعراء في الرِّثاء . وقد أجمع الشعراء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعَرَ منها . وقال أحد كبار الشعراء مرة : لم تقل امرأة قطُّ شعرًا لا يَبين الضَّعْفُ في شعرها . فقيل له أو كذلك الخَنْساء ؟ فقال : تلك فَوْقَ الرجال . وقد قابلتها عائشة زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد ما ماتت أخوها صخر ، وهي محزونة

* الخنساء البقرة الوحشية

محلوقة الشعر ، تَدِبُّ من الكبر والضَّعْفِ على عصا ، فسألتها عائشة : ما دعاك إلى هذا إلا صَنائِعُ من جميله فَصفيها لى . قالت نعم . ذلك أنَّ زوجى كان رجلاً مِتْلافاً للأموال يقامِرُ بالقِداح ، فأتلف فيها ماله ، حتى بقينا على غير شئ . فأراد أن يسافر ، فقلت له أَقِمْ وأنا آتى أخى صخرا ، فأسأله . فأتيته ، فشكوْتُ إليه حالَنا وَقِلّة ذاتِ أيدينا ، فشاطرنى ماله . فانطلق زوجى فقامر به فَقُمِر ، حتى لم يَبْقَ لنا شئ . فعدت إليه فى العام المقبل ، أشكو إليه حالنا ، فصار لى بمثل ذلك ، فأتلفه زوجى . فلما كان فى الثالثة أو الرابعة ، خَلَتْ بصخر امرأتُه فَعَذَلَتْهُ ، ثم قالت : إن زوجها مُقامِر وهذا ما لا يقوم به شئ ، فإن كان ولا بُدَّ من صِلَتِها فأعطها خُمْسَ مالك ، فإنما هو مُتلِف والخير فيه والشر سيَّان . فلم يَرْضَ صخر بذلك ، بل شَطَرَ ماله شَطْرين ، وأعطانى أفضلهما . فلما مات أصبحتُ على ما تَرَيْنَه

ولما قَدِمَت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم استَسْلَمَها فأسلمت ، واستنشدها فأنشدتْ فأُعْجِبَ بشِعرها وهو يقول : هيه يا خنساء ! ثم انصرفت . وكانت صادقة الوطنية ، باسلة . ذلك أنه لما سارت جيوش العرب لفتح بلاد فارس ، انضمت إليهم ومعها أبناؤها الأربعة ، وحضرت وَقعة القادِسية المشهورة . ففى ليلة الوَقعة صارت تُزَوِّدهم بالنصيحة ، وتُذْكى حَمِيَّتهم . ومما قالته لهم : يا بَنِيَّ إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، فاعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية . «اصبروا وصابِروا ورَابِطوا واتَّقُوا الله لعلكم تُفلحون .»

فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها ، فَيَمِّمُوا وَطِيسَها تَظْفَرُوا بالْغُنْمِ والكرامة ، فى دار الخلْد والمُقامة . فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ، فتقدموا واحداً بعد واحد ، يُنْشدون أراجيز يذكرون فيها وصيَّة أمهم العجوز لهم ، حتى قُتِلوا عن آخرهم . فبلغها الخبر فقالت : الحمد لله الذى شرَّفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مُسْتَقَرّ الرحمة . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمير المؤمنين وقتئذٍ يُعطيها أرزاق بَنِيها الأربعة . وكان لكل منهم مائة درهم . فهكذا يكون الصَّبْر والثَّبات ولمثل هذا فلتعمَل العاملات .

ومن شعرها رضى الله عنها :

ألا يا صخرُ إن أَبكيتَ عينى ... فقد أَضحكتَنِى زمناً طويلا
بكيتُك فى نساءٍ مُعْوِلاتٍ ... وكنتُ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العَويلا
إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيل ... رَأَيْتُ بكاءك الحَسَن الجميلا

ومنه

وإنْ صخراً لَمَولانا وسيدنا ... وإنْ صخراً إذا نَشْتو لَنَحَّار
وإن صخراً لتأتمُّ الهُداة به ... كأنه عَلَمٌ فى رأسه نار

ومنه

يُذكِرنى طلوعُ الشمس صخراً ... وأذكرُه بكل مَغيب شمسِ
ولولا كثرةُ الباكين حَوْلِى ... على أَخَوَاتِهم لَقَتَلْتُ نَفسى
وما يَبكون مثلَ أخى ولكن ... أُعَزِّى النفس عنه بالتَّأَسِّى

السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

قِيـل إنها كانت تُسمى فى الجاهلية بالطاهرة . وهى أول امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وسـلم ، وكانت أول من أسلم . ولقد كانت رضى الله عنها ذات ثروة وافرة ومال طائل ، فَتَسْتأجِر الرجال للتجارة فى مالهـا ، وتجعل لهم شيئاً منـه . وكانت قريش تتردد على الشام للتجارة ، فلما بَلَغَ خديجةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم صدقُ الحديث، وعِظَم الأمانة وكَرَمُ الأخلاق من قبل أن يُبْعث رسولا ، أرسلت إليـه لِيخرُج فى مالها إلى الشام تاجراً مع غُلامها « مَيْسَرة »، وتعطيه أفضلَ ما كانت تُعطى غيره. فَقَبِل، فخرج عليه الصلاة والسلام حتى بلغ الشام ، وباع واشترى ، وعاد وقد رَبِـح ضِعْفَ ما كان يربح غيرُه. فلما رأت منـه الأمانة بالَغَتْ فى إكرامه ، حتى أثَرَت إثْرَاءً كبيراً . وقد عُرِفَتْ بِرُجْحان العقل وأصالة الرأى . فمال إليها أعاظمُ قريش وصار كلٌّ يخطبها ، ويتمنَّى أن تكون له زوجة . ولـكنها آثَرَت النبي صـلى الله عليه وسـلم وتزوجت به ، وبقيت معه أربعا وعشرين سنة وأشهراً ، لم يتزوج عليها . وتُوفِيَتْ قبل الهجْرة بثلاث سنين، فحَزِنَ عليها حُزْناً شديداً وعَظُمَت عليه مُصيبتها

وإن التى تتأمل فى ترجمة حياة هذه السيدة الكريمة ، لا يَسَعُها إلا أن تُعْجَبَ كلَّ الإعجاب بما وُهِبَتْ من فِكْر ثاقب ، أدركت به منزلة التجارة وعظيم شأنها فى العمران ، فخَصَّصَتْ ثَرْوَتها الطائلة للبَيْع والشراء حُبًّا فى تثمير المال . ولم تشأ أن تَخزنه أكْدَاساً ، لأن المال إنما يَزْكو بحَرَكة التداوُل ، فيزداد ويَنْتَفعُ به صاحبه ، كما ينتفع بجانبه من قاموا بتكثيره . هذا إلى رواج السِّلع وتَمَتُّع مشتريها بها ، لأن المال هو الذى يَنْقلها من أوطانها وَيُدَاوِلها بَيْن الناس . ولقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على التجارة بقوله «تسعة أَعْشِراء الرزق فى التجارة» ، ولم يَقُمْ بها بنفسه إلا للإجماع على أنها مِهْنَة شريفة. فأين السيدة خديجة رضى الله عنها من كثير من النساء اللَّائى لا يَعْرِفنَ للمال قيمة غير أن يَشْتَرين به الملابس الثمينة ، والحُلىَّ من الذهب والحجارة الكريمة ، التى لا فائدة منها سوى الفخر الباطل ، والعُجْب الممقوت . نعم لا ينكر أحد ضرورة الزينة للسيدات وحُبِّهن لها ، ولكن المنكَر أن يُنفَق كلُّ المال أو معظمه عليها ، مع إمكان تَثْميره والانتفاع به . وللسيدات فى خديجة رضى الله عنها وغيرها من فُضْلَيات النساء أُسْوَةٌ حَسَنَة

عائشة بنت أبى بكر

هى ابنة سيدنا أبى بكر الصديق ، أول الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم . تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وهى فى حَداثَةِ سِنِّها . وتُوُفِّى قبل أن تبلغ ثمانية عشر حَوْلا

وكانت مشهورة بأَصالَة الرأى ، وثاقِب العقل ، وفَرْط الذكاء ، مع غزارة العلم وفصاحة اللسان . فكانت إذا تكلمت اسْتَرْعَت الأسماع ، واذا خطبت بين الجُمُوع ملكت أَفْئِدَتهم ، وَسَحَرَت ألبابهم . فهى التى هاجَت الخواطر على قَتَلَة عثمان بن عفّان ، رضى الله عنه . فكان من نتائج ذلك وَقْعَة الجمل المعروفة . فإنها لما علمت بأن عثمان اغتالته اليد الأثيمة فى المدينة ، بتدبير فريق من القتَلَة الفَجَرَة ، رجعت إلى مكة وقامت خَطِيبة . ومما قالته فى هذا الشأن : أيها الناس ، إن الغَوْغاء من أهل الأمصار وعَبيد أهل المدينة ، اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً ونَقَمُوا منه . ولَمَّا لَمْ يجدوا حُجةً ولا عذرًا بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام فى الشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام . ووالله لو أن الذى اعتدوا به عليه كان ذنباً . لخَلَصَ منه كما يَخْلص الذهب من خَبَثِه ، أو الثوب من دَرَنِه ، إلى آخر ما قالت . فقال عبد الله بنُ عامر الحَضْرمى وكان عاملَ عثمان على

مكة : هأنذا أول مُطالب بدم عثمان . وتبعه بنوأُمَيّة على ذلك ، وشُهِرت الحرب ، وقد حضرت عائشة الوقعة بنفسها ، وصارت تُشَجِّع الرجال على الثبات ، وتحضُّهم على الصبر والمثابرة ، بما أُوتِيتْ من بلاغة وقوة حُجة

وكانت رضى الله عنها أَحْفَظ أهل زمانها للحديث الشريف . رَوَتْ عنها الرُّواة من الرجال والنساء . وكان أحد الصحابة إذا روى عنها يقول : حدثتنى الصِدّيقة بنت الصدِّيق البريئة المُبَرَّأَة . وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض ، ويقولون إنها من أَفْقَهِ الناس وأحسنهم رأياً . وقال أحد الصحابة : ما رأيت أحدا أَعْلَمَ بفقه ولا بطِبٍّ ولا بشعر من عائشة

السيدة فاطمة النبوية

هى ابنة الإمام الحسين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقد امتازت على سائر نساء عصرها بجمال طَلْعتها . وكانت أكثر شَبَهاً بجَدّتها فاطمة بنت رسول الله . أما كرم أخلاقها وتَدَيُّنها وَوَرَعُها فحَدِّث عنها ولا حَرَج . وقد حضرت مع أختها سُكَينة واقعة كَرْبَلاء ، ولما قُتل أبوها أُخِذَتْ مع من أُخذ مِن أهل البيت لحضرة يزيدَ بنِ معاوية فى دِمَشْق الشام ، وقد أرسلهُن يزيدُ إلى المدينة المنورة ومعهن

رجل أمين مِن أهل الشام حتى دخلن المدينة . فقالت فاطمة لأختها سُكَينة وكانت أصغر منها سِنا : قد أحسنَ هذا الرجل الينا فهل لك أن تَصِليه بشئ ؛ فقالت : والله مامعنا ماتَصِله به إلاّ ما كان من هذا الحُليّ . قالت : فافعلى . فأخرجت له سِوارين ودُمْلَجيْن و بعثت اليه بهما ، فردَّهما وقال : لو كان الذى صنعتُه رغبةً فى الدنيا لكان فى هذا كفاية ، ولكنى والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكما من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت رضى الله عنها فصيحة المنطق ، كريمة المَعْشَر ، أديبة تَنْثُرُ الدرر ، وتنطق بالحكم ، فمن قولها تَنْعى أباها

نَعَقَ الغراب فقلت مَنْ تَنْعاه وَيْحَك يا غرابْ
قال الإمام فقلت مَنْ قال الموفَّق للصواب
قلت الحسين فقال لى بمقال مَحْزُون أجاب
إن الحسين بِكَرْبَلا بين الأسِنَّةِ والحِراب
أبكى الحسين بِعَبْرَةٍ تُرضى الاله مع الثواب
ثم استقلَّ به الجَنا حُ فلم يُطِقْ رَدَّ الجواب
فبكيتُ مما حلَّ بى بعد الرَّضِيّ المستجاب

وتُوفيت سنة عَشْرٍ ومائة للهجرة ، ودفنت فى المسجد المعروف بها الآن بِخُطّ الدرب الأحمر بمصر

السيدة زينب بنت الإمام على كرّم الله وجهه

هى شقيقة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضى الله عنهما. وأمها فاطمة الزّهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت فصيحة المنْطِق، جريئة طلْقة اللسان، مع اتّقاد الذهن وسُرعة الخاطر. وللنساء أُسوة حسنة فى حسن مَعْشَرِها، وكرم أخلاقها، وصِلَةِ رحمها. ولا غَرْوَ فهى حَفِيدَة الرسول عليه السلام، رافع لِواء الدين، وناشر آيات الفضائل بين العالمين

وقد حضرت واقعة كَرْبَلاء المشهورة، التى قُتل فيها أخوها الحسين رضى الله عنه، وهى القائلة:

ما ذا تقولون إن قال النبى لكم
ما ذا فعلتم وأنتم آخرُ الأممِ
بِعِتْرَتى وبأهلى بعد فُرْقتكم
منهم أُسارَى ومنهم خُضِّبوا بدمِ
ما كان هذا جزائى إذْ نصحتُ لكم
أن تخلفُونى بسوء فى ذوى رحمى

ثم سارت مع أهلها إلى الكوفة، فأومأتْ إلى الناس أنِ اسكتوا ثم قالت: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين،

أما بعد يأهل الكوفة ، أتبكون فلا سكنت العَبْرة ، ولا هَدَأَت الرَّنَّة ، إنما مَثَلُكم مَثَلُ التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً . تتخذون أيمانكم دَخَلاً بينكم . ألا ساء ما تَزِرون . إى والله فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلاً ، فقد ذهبتم بعارها وشَنَارها . وَيْلكم يأهل الكوفة ألا ساء ماسوّلت لكم أنفسكم أنْ سَخِط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون . أتدرون أىّ كبدِ الرسول صلى الله عليه وسلم فرَيتم ، وأىّ دم له سفكتم ، وأىّ كريمة له أبرزتم ، لقد جئتم شيئاً إدًّا تكاد السموات يَتَفَطَّرْنَ منه ، وتنشقّ الأرض وتخِرُّ الجبال هدًّا . فَذهِلَ الناس ووضعوا أيديَهم على أفواههم ، وأخذهم الدَّهْشُ والحَيْرَة . ولما استُشْهِدَ الحسين رضى الله عنه ، أُخِذت زينبُ مع مَنْ بقى منْ أهل البيت لحضرة يزيدَ فى دِمَشْق الشام ، حيث قُدِّم له الرأسُ الشريف . فجعلت فاطمة وسُكَيْنَةَ تَتَطاوَلان لتنظرا إلى الرأس ، وجعل يزيدُ يتطاول ليَسْتُرَه عنهما . فلما رأَياهُ صاحتا ، فصاح نساء يزيد ، وولولت جميعُ الحاضرات حتى جَوارى القصر . فقالت فاطمة ، وكانت أكبر من سُكينة : بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبايا يا يزيد . فقال : يا ابْنَةَ أخى أنا لهذا كنت كارهاً . فصارت تُؤَنِّبه وتحاجُّهُ وتقرِّعُهُ وتسمعه من وخز الكلام ما استَشاط له غَضَباً تارة وأظهر الحلم تارة أخرى . ثم أمر بتجهيز أهل البيت إلى المدينة مع الإكرام

﴿ سُكَيْنَة بنت الحسين بن علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه ﴾

كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أبرعهن جمالا ، وأحسنهن أخلاقا ، وأظرفهن لِقاء وكانت رضى الله عنها شاعرة تحِبُّ الشعر والشعراء ، وتقرّبهم وتُجزِل لهم العطايا . وكانت سريعة الخاطر ، حاضرة البَديهة ، مُتَوقّدة الذهن ، تميل للمُزاح الأدبى ، وتناضِل مَنْ فى حضرتها مُناضلات أدبية . فقد حُكِىَ أنها حضرت مَحْفِلا فيه بنتُ عثمانَ بن عفان رضى الله عنه . فقالت: أنا بنت الشهيد . فسكتت سكينة حتى إذا أذّن المؤذّن وقال أشهد أن محمداً رسول الله . قالت لها سكينة : هذا أبى أم أبوك ؟ قالت بنتُ عثمان : لا أفْخَرُ عليكم أبدا .

وقد كانت رضى الله عنها على جانب عظيم من الصبر والجَلَد وتَحَمُّل الآلام . فقد قيل إنها أصيبت بِسِلْعَةٍ فى أسفل عينيها ، ثم كَبِرَتْ جدا وعَظُم الأمر ، فأحضرت طبيبها وقالت له : ألا ترى ما وقعتُ فيه ؟ فقال : أتصبرين على الألم حتى أُعالجك ؟ فقالت نعم . فشق جلد وجهها حتى ظهرت العروق ، وكان منها شىء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنها حتى جعلها ناحيةً ، ثم سَلَّ عروق السلعة من تحتها ، وأخرجها ورَدَّ العين الى مَوْضعها . كلُّ ذلك وسكينة لا تَتَحَرَّكُ ولا

تَئِن ، حتى فَرَغ ، وبَرِئَتْ وبقى أَثَرَ الْجُرْح فى مُؤْخِرِ عينها . وقد توفيت رحمها الله سنة سَبعَ عشْرةَ ومائةٍ من الهجْرة

(السيدة نفيسة بنت الحسن حفيدة على بن أبى طالب كرّم الله وجهه)

وُلدت بمكةَ سنة خمسٍ وأربعين ومائة من الهجرة ، ونشأت بالمدينة المنورة . وكانت رضى الله عنها من الصلاح والزُّهد على الحد الذى لا مزيد عليه . فيقال إنها حجت ثلاثين حِجّة ، وكانت كثيرة البكاء ، تَقيَّة ، عابدة ، مُصَلّية ليلَها صائمة نهارها ، مُسَبّحَةً بُكْرَةً وَعَشِيًّا . وكانت تحفظ القرآن وتجيد تفسيره وتتلوه حَقَّ تِلاوَتِهِ . وقيل إن سبب قُدومها إلى مصر أنها فى أثناء حِجّتها الأخيرة توجهت مع زوجها إسحق بن جعفر إلى بيت المَقْدِس ، فزارت قبر الخليل إبراهيم عليه السلام ، ثم جاءت معه إلى مصر فى رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقد تلقاها الرجال والنساء بالهوادج من العريش ، ونزلت أوّلا عند كبير التجار بمصر ، وكان من ذوى المعروف والبرّ . فأقامتْ عنده شهوراً يأتى إليها الناس من سائر الآفاق ، يَقْتَبِسُونَ من علمها وأخلاقها الكريمة ، ثم تحولت إلى مكانها المدفونة به ، وَهَبَهُ لها أمير مصر إذْ ذاك السَّرِىّ بن الحَكَم

ولما دخل الإمام الشافعىّ رضى الله عنه مصر ، سمع عليها

الحديث ، ولما توفى أُدخلت إليها جِنازته فصلت عليه فى دارها . وقد أقبل على زيارتها كثير لا يُحْصَوْنَ من العلماء والصالحين وغيرهم ، للاستفادة ومُذاكرة العلم كما تقدم

وقد انتقلت لجوار ربها رضى الله عنها فى شهر رمضان سنة ثمان ومائتين للهجرة بعد وفاة الإمام الشافعى بأربع سنين ، وكانت صائمة تقرأ سورة الأنعام ، فلما وصلت إلى قوله تعالى « لهم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِم » فاضت رُوحها . رحمها الله وَأَلْهَمَنا رُشْدها وتقواها

ست المُلك بنت العزيز بالله الفاطمى

كانت من أجمل نساء زمانها ، وأوفرهن عقلا ، وأثبتهن جَنانًا ، وأعلاهُن رأيًا ، وأشَدهن حَزْمًا ، شاركت أخاها الحاكم بأمر الله فى إدارة شئون الملك ، حتى صار يَقْطَع الأمور عن رأيها . وقد كان الحاكم بأمر الله متصفًا بالجَوْرِ ، والظلم ، والعَسْف فى أمور الرعية ، وغلا فى النهب والسلب ونَهْك الحُرُمات ، حتى أبغضه أهل مصر ولم يُخفوا كراهتهم له ، وصاروا يلعنونه فى كل مكان ، وَيَضْرَعُون إلى الله أن يُنقذهم من جَوْره . وقد بلغ به الجنون أنه أمر بإحراق مصر ونهبها انتقامًا من أهلها . فأطاعه جنوده ، وقاتلوا أهلها أشدَّ قِتال مدة يومين . وفى اليوم الثالث انضم الأتراك إلى أهل مصر وهددوه .

فلما رأى ذلك أمر بالكفِّ عن القتال بعد أنْ أُحرق جزء كبير من المدينة ، ونُهِبَ الكثير من بيوتها وحوانيتها . فلما اشتد غيظ الناس وحَنَقُهم عليه ، ظنَّ أن ذلك من أُخته ست الملك ، لِعلمه أنها تُخالِطُ الساسة والعلماء لِرُقى عقلها وعُلوّ كعبها فى السياسة وتدبير الأمور بالحكمة ، وصائب أفكارها . فعَمَد من حُمْقه وجهله إلى قتلها واغتيال حياتها . فلما علمت بذلك ، عوَّلت على الكيد له حِفْظا لحياتها وتخليصاً للرعية منه ، فأرسلت إلى قائد كبير ، وقالت له : أنت تعلم مايعتقده أخى فيك ، وأنه متى تمكن منك لا يُبْقى عليك ، وقد بلغ مُنْتَهَى الظلم والعَسْف ، واشتدَّ بالعباد الأمر ، وأخاف أن يقوموا عليه قَوْمَةَ رجل واحد ، فيهلك ونهلك نحن معه ، وتنقرض الدولة . فراق لديه ماقالت . ثم قالت : إن الحاكم سَيُصَعِّدُ فى هذا الجبل غدا ولا يَصْحَبه إلا صبىّ ، فأقِم رَجُلين تثِق بهما يقتلانه والصبىّ ، ثم نقيم ولده من بعده ، وتكون أنت مُديرَ الدولة ، وأَزِيدُ فى إقطاعك مائة ألف دينار . ثم أعطته ألف دينار للرجلين . فاختار اثنين من ثقاتِه وأخبرهما بالقصة ، فمضيا إلى الجبل ، ولما انفرد الحاكم هجَما عليه وقتلاه ، وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة وسبعة أشهر . فلما أيقن الناس بقتله ، اجتمعوا إلى أُخته ست الملك ، لعلمهم بفضلها ، وثِقَتهم بعدلها ، ونزاهتها ، وبُعد نظرها . وشاوروها فيمن يَخلف أخاها ، فأجلست على سرير الحُكم على بن الحاكم وهو لا يزال صبيا ، وبايع له الناس ولقّبوه بالظاهر . وأنشأت ستُّ الملك تدير الدولة وصيةً على ابن أخيها

رافعة لواء العدل بين الرعيـة ، مُنْصفة للمظلومين ، ضاربة على أيدى البُغاة والطاغين. فأحَسَّ الناس بالفرق العظيم بين حكْمها وحكم أخيها ، فأحبوها حبًا جمًا . ولـكنها لم تُعَمَّر طويلاً ، فماتت بعـد أربع سنين سنة ٤١٥ هـ . فَحَزِنَ عليها أهل مصر ولم يَنْسَوْا فضلها العميم . أثابها الله جزاء إحسانها . وأجزل لهـا الأجر فى دار النعيم

شَجَرَة الدُّرّ

هى الملـكة عِصْمَةُ الدّين ، زوجة السلطان الصالح نَجْم الدين أبى الفُتُوح أيوب . كانت عاقلةً مُهَذَّبَةً ، خَبيرَةً بالأمور وسياسة الناس . وكان يَرْجِعُ إليها زَوْجُها فى الرأى ، وَيَسْتَشِيرُها فى المهمَّات . ومِنْ أمرها أنه لمـا ماتَ الملكُ الصالحُ بناحية المنصورة فى قتال الإفْرِنْجَة ، قامت بالأمر ، وكَتَمَتْ خـبرَ مَوته ، واستَدْعَت ابنه تورانشاه من بلاد القوقاز ، وسلَّمت إليـه مقاليدَ الأمور . فتَوَلَّى المُلْكَ بقلعة دِمَشْق فى رمضان سنة سَبع وأربعين وستمائة هجرية ، ثم قَدِم إلى الصالحية ، وأُعْلِنَ يومئذ موتُ الصالح . وكانت شجرة الدر حتى ذلك اليوم قائمةً بتدبير شُئون الدولة : تُوهِمُ الناس أن السلطان مريضٌ ولا سبيل لوصولِ أحدٍ إليـه . ثم أساءَ السلطان تورانشاه التصرفَ فى الأمور ، فقتلهُ المماليك البحرية بعد سبعين يوماً من

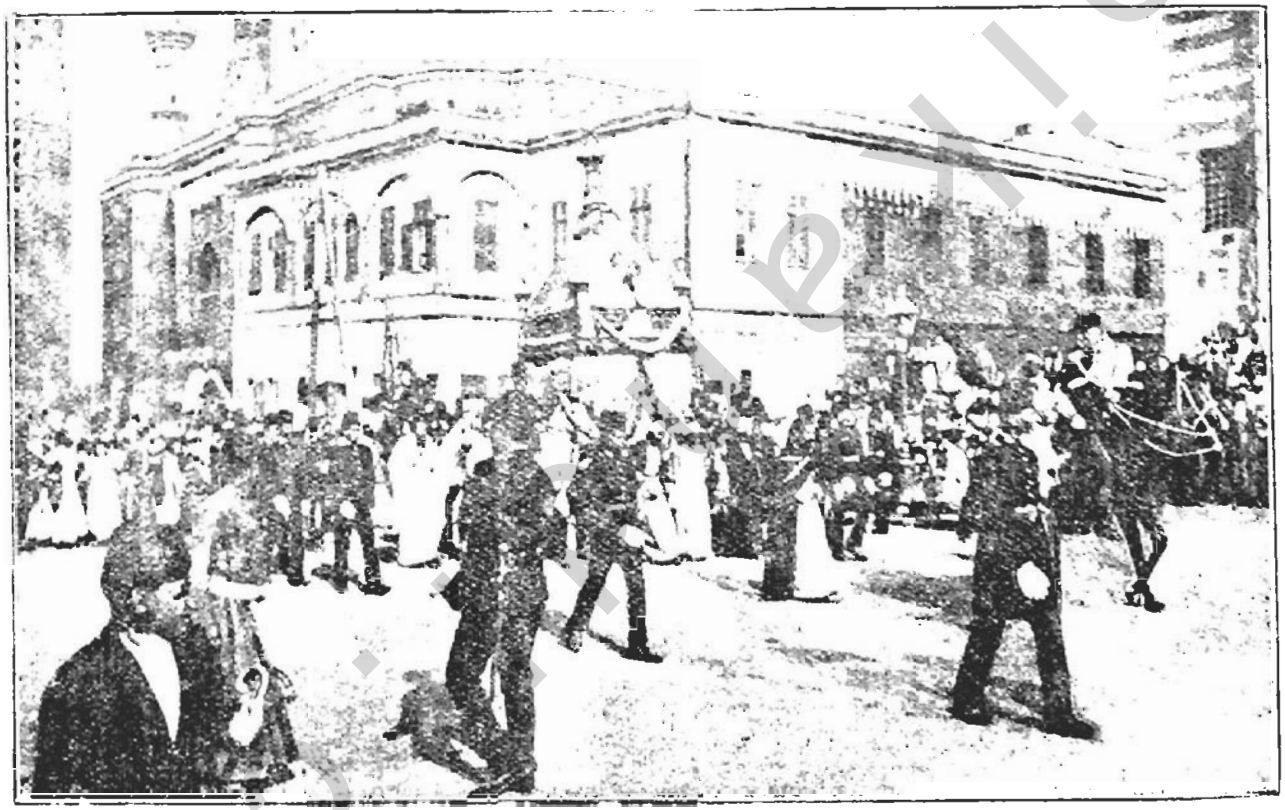

(موكِب المحمِلُ الشريف)

تَوْلِيَته . وبموته انقضت الدولةُ الأيوبية من مِصْرَ . فأجمعَ المماليكُ البحريةُ على أن يُقيموا بعدَه شجرةَ الدر ملكةً ، وحَلفُوا لها يمينَ الطاعة والإخلاص . فقامَتْ بتدبير الأمر خيرَ قِيام ، وَأَقامَتْ نصابَ العدل ، وَرَتَعَ الناسُ فى بُحْبُوحَةِ السعادةِ والهناءة ، وأنفقت بدَر الأموال على المحتاجين والمُعْوَزين ، وضَرَبَت السِّكةَ باسمها ، وشيَّدت الجامعَ المدفونة به الآن بِخُطِّ الخليفة بمصر ، بالقرب من مَشْهَد السيدة سُكَيْنَة بنتِ الحسَيْنِ رضى الله عنهما . ومن مآثِرِها أنها أولُ مَن سيَّر المحْمِلَ الذى يُعْتَبَرُ رائداً للحُجَّاج . فَبَقِيَ إلى أيامنا هذه تحتفلُ به الحكومة احتفالا رسميا فى كل عام : فيُسلم زِمامُ الجملِ الحامل للمحْمِلِ إلى مبعوثٍ كبيرٍ من الحكومة المِصْرية يُسَمَّى أميرَ الحجّ ، يحمل الهدايا إلى بلادِ الحِجازِ ، وَيَفْصِلُ فى مشاكل الحجاج ، ويُؤَمِّنُ لهمُ الطريقَ لِأداء فريضةِ الحج

ومع ما كانتْ عليه شجرةُ الدرّ من الصفاتِ العظيمة ، والأخلاق الكريمة العالية ، لم يرضَ أهلُ الشام أن تكونَ سلطانةً عليهم ، لأن الشام فى ذلك العهدِ كانت جزءًا من السلطنةِ المِصْرية . فتزوَّجها الأميرُ عِزُّ الدّين أَيْبَك التركمانىُّ ، ونَزَلَتْ له عن المُلْكِ بعد ان حَكَمَتْ ثمانين يوماً

الياصبات ملكة انجلترا

(Queen Elizabeth)

وُلِدَتْ فى سنة ١٥٣٣ ، وتُوُفِّيَتْ فى سنة ١٦٠٣ ميلادية ، وهى من أعظم من اعْتَلَى عرش الانجليز شاركت أخاها فى التَّعَلُّم ، وكان يأخذ عن رجل من أَوْفَرِ الرجال علماً ، وأَوْسَعِهم معرفة . وبَرَعَتْ فى اللغات حتى كانت تتكلم بأشهرها فى زمانها ، وهى اللاتينية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والفلمنكية . وتَرْجَمَتْ بنفسها إلى الإنجليزية مؤلفاً إيطالياً . وكان يَحْلو لها درسُ التاريخ ، وتفضله على ما سواه من العلوم ، لما فيه من الحوادث المُهذِّبة ، التى تُهِمُّ الملوكَ العظامَ أمثالها معرفتُها . أما عصرها فكان أَزْهَرَ العصور الانجليزية : ظهر فيه من رجال السياسة والحرب والفلسفة مَنْ جعلوا لانجلترا مقاماً سامياً . وَوَقَعَ فيه من الحوادث الجُلَّى ما خَلَّدَ ذكر الياصبات فى التاريخ . ولقد كانت هذه الملكة العظيمة على ما أُوتيَت من واسع السلطان والنفوذ ، تحتقر الإفراط فى التنعم ، وتسلك مَسلك الاقتصاد فى بيتها ، وتكره الملق . وقد كان فيها كثير من الصفات اللازمة لِرُقِيّ الشَّعْب الانجليزى إذ ذاك ، وهو يَتأَهَّب للوُثوب والنهضة إلى الأمام . على

(اليَصابات ملِكَةُ انجِلْتِرَا)

أن كثيرًا من المؤرخين يَنْسُبون جَلالَ عصرها وأُبَّهَةَ مُلكها إلى وُزرائها العظماء ، وقادَة بلادها الحكماء ، وهم بذلك لا يَغْمِطون حَقَّها من الفضل ، لأنها هى التى كانت تختارهم وتصطفيهم . ويَرْوى التاريخُ أن منْ أَلَدِّ أعدائها فى زمانها . وشَرِّ خصومها فى عُلَوَاء مُلكها ، ملكَ إسبانيا : فقد كان يَدْفَعه حِقْدُه عليها إلى مُناوأتها ودسّ الدسائس لها . فقد أعدَّ العُدَد لمحاربتها ، فجهز مِئات السفن الحربية ، وسماها « أرمادا » ، وجمع من الرجال والذخيرة ما يُرْهب . فبلغ الإنجليزَ خبرُه ، فأوفدت له الياصباتُ قائداً هُماماً اسمه « دريك » تَسَلَّل حتى دخل ميناء قادس باسبانيا ، وأحرق من ذلك الأسطول الضَّخْم سُفُنًا لا يقل محمولها عن عشرة آلاف طن من قبل أن تبدأ الحرب ؛ فأصاب بذلك كَبِدَ إسبانيا وهاج غيظها . فجمعت أمرها ثانية ، وخرج الأسطول سنة ١٥٨٨ م وعدد بوارجه ثلاثون ومائة من أكبر طِرَاز القرن السادس عشر ؛ فلاقاها ضَراغِمُ الانجليز بأسطول أقل عَدداً وعُدَداً ، وتغلبوا عليها بفضل مهارة القيادة . وبددوا شملها ومزقوها كلَّ ممزق . فانفرد الإنجليز بالعظمة فى البحار . وكان هذا الحادث من عصر الياصبات بَدْءَ ما لِأسطول الإنجليز من المَنَعَة والرَّهبة والسَّيْطرة حتى وقتنا هذا . فلا عَجَبَ إذا ذُكر اسمها فى تاريخ الإنجليز مقروناً بآيات الثَّناء والإعجاب

الملكة فكتوريا

(Queen Victoria)

عرفَتْ الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وأمبراطورة الهند بالذكاء المفرط ، وإصالةِ الرأى ، وبُعْدِ النظر . وقد كانت أيامُ حكمها عصرَ سعادة وبركة ويُمْن على شعبها . وكانت تحب بلادها حبًّا جمًّا ، وَدَأَبَتْ فى ترقيتها وَرَفع شأنها ، حتى أدرك الشَّعْبُ الإنجليزى فى أيام دولتها منزلة عظيمة فى العلوم والمعارف

ارتقت الملكة فكتوريا أريكة الملك قبل أن تبلغ العشرين من عمرها ، فرأت أنها مسئولة عن أكبر دولة فى العالم . فعَمَدَتْ لطريق الحزم والسَّداد ، والنظر فى شئون الدولة بنفسها ، غير مُعْتَمِدَة كلَّ الاعتماد على وزرائها ورجال دولتها . ومما يُؤْثَرُ عنها أن كاتم أسرارها كان يَعْرِضُ عليها يوماً أوراقاً لتُبدىَ فيها رأيها ، وتبُتَّ فى شأنها . فوقع نظرها على حكم مجلس عسكرى يقضى بإعدام جندى رَمْيًا بالرَّصاص . فسألت جلالتها عن تُهَمَةِ هذا الجندى . فأجابها كاتم أسرارها بأن هذا الجندى قد فرَّ هارباً من الجيش ثلاثَ مَرَّات ، وقد حُكِمَ عليه من قبْل بعقوبات مُختلفة لَمْ تُقَوِّم أخلاقه . فقالت الملكة: ألا يوجد فى مِلَفِّه ما يَشْفَع له ؟ فأُجيبت بأنه خاطر بحياته مرة دِفاعاً

(فِكْتُورْيَا ملِكَةُ إِنْجِلْتِرَا وَأَمْبَرَاطُورَةُ الهِنْدِ)

عن بلاده . فقالت : سأجعل هذا له شفيعاً تنبئه أنى عفوت عنه . ثم تناولت يراعها وَوَقعت بيدها الكريمة بالعفو عنه . فكان هذا سبباً فى أن سلك ذلك الرجلُ الطريقَ السَّوىَّ ، وقوَّم ما اعْوَجَّ من طِباعه وأخلاقه، فاستقامت أموره ، ولَبِثَ مثالَ الطاعة والجِدّ والنشاط فيما بقى له من أيام الجندية

أحسِنْ إلى الناس تَسْتَعْبِدْ قُلوبَهُمُ فطالما استعبد الانسانَ إحسان

جريس دارلنج

(Grace Darling)

على مسافة قريبة من شَمال شرقىّ انجلتره ، بمجموعة من الجزر مُجْدِبة قاحِلة يبلغ عددها نحو خمس وعشرين جزيرة ، قد اختلفت مساحاتها ، وتنوعت أشكالها ، وهى خالية خاوية لا يسكنها إلا طير الماء والوحش . ولكنَّ واحدةً من كُبْرَياتِ هذه الجزر قد خَلَّد التاريخ ذكرها ، لأنها وطن فتاة إنجليزية تدعى « جريس دارلنج » لا يُذكر اسمُها بين قومها إلا بالإجلال والإعظام. لعَمل شريف أتته يَتِمُّ على ما انطوت عليه جوانحها من الشجاعة وجُمَّاع مكارم الأخلاق. عاشت جريس دارلنج كلَّ حياتها فى هذه الجزيرة الصخرية ، منقطعة عن العالم وضَوْضائِه ، مُنْزَوية مع والدَيْها فى كُوخ حقير ، يتعهدون

جريس دارلنج
وَوَالِدُها
فى قارِبِ النَّجاةِ

بجانبه مَنارَةً تَهْدى الملاّحين . منارةً تَنْفُذ أشعتها ليلا فى كبد ظلام البحار ، فتبعث ببارق أمل يُذْهِب اليأس وتُسَرّى به الهموم . أَلِفَتْ دارلنج عيشتها على هذى الشُّعَب الصخرية ، تهدى الضالّ وتُحذِّر السّارىَ أن يَرْتَطِم ، وتشير بالنور أن ابْعُدوا أيها الملاحون عن هذى الصخور . أَلِفَتْ هذه الحياة محبةً فى الإنسانية ، فكأنما هذا الوطن المُوحش كِناسُ الأنس ، ومُقام السعادة ، لا تريد به بَدِيلا ، ولا ترغب عنه تحويلا . وكأنّا بها نَمْتَثِلها وهى جالسة فى النهار الصَّحْو مع أمها على باب الكوخ تتشمّسان وتحْكِيان وتَحِيكان ، بينما أبوها يُهَيِّئُ المصباح ، ويَرْقُبُ السفن بِمَنْظارِه ، وكأنّا بها نَمْتَثِلها مع والديها فى ليل شديد القُرّ تُزَمْجِرُ فيه الرياح ، وتَعْصِفُ الزّوابع وتَهْطِلُ الأمطار الغِزار ، يَصْطَلُونَ جميعاً ويتدفئون ويَسْمُرُون : يقصُّون قَصَصَ ما عاينوا وعانَوْا من جُنُوح المراكب وارتطام السفن ، وما اعتادوه من مُشاهدة الأهوال والعجائب . أَىْ « دارلنج » لله ما أَشْجَعَك وما أَكْبَرَ جَنانك إذا ذُكِرَتْ بَطَلاتُ النساء !

كانت « دارلنج » معتدلة القَوام ، ذات عينين سَوْداوَيْنِ لامعتين ، وشعر فاحم ، فى الثامنة والعشرين من عمرها عند ما وقعت هذه الحادثة . كثيرة الحياء جَمَّة الخجل ، يُقرأ فى عينيها الزرقاوين مافطرت عليه من عَطْف وحَنان

فى ليلة لَيْلاءَ من شهر سبتمبر سنة ١٨٣٨ ميلادية مرت باخرة إزاء شاطئ انجلترا بينه وبين تلك الجزر ، وكان الضباب ضارباً أطنابه ،

والظلام مُسْبلاً سُدُوله ، والريح تصفِر مُؤْذِنة بالعَصْف والقَصْفِ ، وما لَبثَ الماء أن هاج وماج ، وهى تجرى بهم فى مَوج كالجبال أو

كريشة فى مَهَبِّ الريح ساقطةٍ لا تستقر على حال من القَلَقِ

وما عَتَّمَ المركَب أن انصدع ، فانصدعت القلوب ، ولم يُفد ما بُذِلَ من الجَهْد لانقاذه ، فعَثَر بالركاب الجَدُ وحُمَّ القضاء ، وطوَّحت بهم الريح ، فارتطمت السفينة فى بعض الشُّعَب فانكسرت ، وانفجرت مراجلها ، وهلك الرُّبان وَمَنْ فيها إلا قليلا ممن هدى الله ، تَسَلقُوا الألواح الطافية ، وركبوا الشظايا العائمة ، كدود على عُود . ولكنهم لم يلْبَثُوا على هـذه الحال إلاَّ قليلا ، فقد نهَكَهُم الكِفاح ، فَكَلَّ الساعِدُ وَوَهَنَ الجَلَدُ وبلغت الروح الحُلقوم ، حتى مطلع الفجر وانبثاق الصباح . فخرجت « دارلنج » من حجرتها كعادتها تُمَتِّع الطرف برؤية البحر الخِضَمِّ ، وتقرأ آيات الله فى كتاب الطبيعة . وبينما هى سابحةٌ فى تأمل قدرته تعالى وتبديله الغَيْم صَحْوا ، والخوفَ أمْنا ، إذْ لاحَتْ منها التفاتة فإذا أشباحٌ بلا أرواح ، تتقاذفها الأمواج وتَخطفها اللجج ، فتعلو بها وتَهْوِى . فصرخت يا للنجاة ! وأسرعت إلى والدها تَستَحثُّه وتستنجده . فقال : وَيلاه يا بُنَيَّتِي إنى شيخ فانٍ قد وَهَنَ العظمُ منى واشتعل الرأسُ شيبا ، وضَعُفَتْ قواى ، وأنتِ فتاة غَضة لا تَقْوَيْنَ على مُغالبة هذه الأمواج الثائرة ، وقارِبُنا صغير حقير . . . . فقاطعته وأقسمت أن تُنقِذَهم أو تموت . ثم تضرعت إليه وتوسلت . فَشَمَّرَا عن ساعد الجِدّ ، وَعَمَدَا إلى القارب ، وتناول كلٌّ مِجْدافا ،

وخاضا عُباب الماء، حتى كانا من الهلاك قاب قوسين أو أدنى . فلما وصلا إلى تلك الأشباح وهى تَلْفِظ أواخر الأنفاس، أنقذا كلَّ مَنْ بقى فيه رمقٌ من الغرق، وتغلبا على الصِّعاب والعوائق بصبر نادر، وثبات عجيب، حتى تمَّ لهما ما أرادا من عمل البِرّ، وإسداء المعروف وإغاثة الملهوف . فرجعا بهؤلاء المنكوبين الى الكوخ، وأخذا يتعهّدانِهم بأنواع البر والعناية، حتى صَحا الجو وَمَثَلوا للعافية . فرجَعوا إلى أوطانهم يقُصُّون خبرهم العُجاب، ويتحدثون بشجاعة تلك الفتاة النادرة، وكريم شمائلها، وشريف عواطفها . فطار صيتُ دارلنج فى الخافِقَيْن، وردَّده البرق فى الآفاق، وأطنبت الجرائد فى الثناء، وانهالت عليها الرسائل من كل صوْب من عُظماء رجال الدول الأوربية، وبعثوا إليها الهدايا والتحف والأموال . ونحن بمصر الآن نروِى حكايتها ونُعْجَب بشهامتِها وَبَسالَتِها

لُورا سِيكُورْد

(Laura Secourd)

(بَطَلَة فى تاريخ كندا)

التاريخ مُفْعَمٌ بأسماء بَطَلات النساء، اللاتى كان من قوة جَنانهن أنْ شَهِدْن المواقع، ونَزلن الوغى، وركِبْن المخاطر، سواءٌ أكان

بامتشاق الحسام بأنفسهن ، أم بإعانة الجرحى وإسعاف المرضى . على أن اسمَ المرأة كاسم الرجل جديرٌ بالتمجيد والتخليد، إذا كان لها من المآثر والفضل ما يرفعها إلى هذه المنزلة الكريمة ، كما هو الأمر فى السيدة « لورا سيكورد » بطلة هذه النُّبْذَة التاريخية

كانت سيكورد زوجَ أحد الكَنَدِيّين المخلصين لوطنهم ، العاملين فى الذَّوْد عن بلادهم . قد انتظم فى سِلك الجندية أثناء إغارة الأمريكيين على كندا سنة ١٨١٢ م لما أقبلوا عليها بخَيْلهم ورَجلِهم ، واجتاحوا الأراضىَ، وملكوا القرى والمدن ، وهدَّدوا البلاد ، ووقف أبطال كندا يدافعون ويناضلون ، وجُل أمانيهم أن يمنعوا العدو من عُبور نهر نياغرا . فَجُرِح زوجُ سيكورد فى بعض الملاحم ، وخرَّ فى ساحة القتال مُغْمًى عليه بين الأشلاء والقَتْلى ، حتى جاءت سيكوردُ وَاجفةً مُرَوَّعة مذعورة تبحث عنه فيما بينهم . فعثَرت به وقد أخذ منها الأسى كلَّ مأْخَذٍ ، وشَمِلَها اليأسُ . ولكن ما لَبِثَتْ أن مَلكت شعورها رُوَيْدًا ، فحملته فانْتَبَذَتْ به دارها القَصية ، وأخذت تُضمِّدُ جِرَاحه ، وتُعْنَى بأمره أشهراً طِوالاً ، رائدُها المحبة والاخلاص ، والأمانة والوفاء . فلم تنجح إلا فى تخفيف بعض آلامه لِما كان قد لَحِقَهُ مِنَ الوَهْنِ والضَّعْفِ العظيم . وقد زاد حالها تَعْساً أن منزلها وما حوله من الضِّياع والحِراج وقع فى قَبْضَة العدو ، وضرب عليه نطاقاً من الجواسيس الى أميال بعيدة المَدَى

أما موقفُ العدو فكان على مَناعَتِه وقُوَّته يُهَدِّده ضابطٌ

كَنَدِىٌّ إِرْلَنْدِىٌّ يُدْعى « فتْزْجِيبُون » قد رَبَضَ على مَقْرُبَةٍ منه ، وَمَلَكَ أَعِنةَ الطُّرُقات ، وسدَّ عليه المنافذَ الرئيسية . فأرسل العدوُّ اليه فَصِيلة مكوَّنةً من ستمائة من رجاله لِتزَحْزِحَهُ عن مكانه، ولكنها لم تنجح.

وقد صادف فى اليو الثانى والعشرين من شهر يونيه سنة ١٨١٣ أن اثنين من عِظام الضباط الأمريكيين كانا على مَقْرُبة من منزل سيكورد ، يَتباحثان ويُعْمِلان الفِكْرَ ، ويُدَبِّران الخُطَطَ لاغتيالِ الضابط الكَنَدىّ الارْلَنْدِىِّ الذى قطع عليهم الطريق . وما كانا

لورَا سِيكُورْد تَحْمِلُ زَوْجَها الجَرِيحَ إلى بَيْتِها

يَحْسِبانِ أنّ رجـلاً قُعَدَةً جُثَمَةً وامرأة مهزولة ضعيفةً مثلَ سيكورد يسترقَانِ السمعَ ويَعيانِ كلَّ ما يقال . فما وُضِعَتْ الخُطة الحربية حتى ثارَت فى نفس سيكورد الحَمِيةُ الوطنية ، وصَمَّمَت على ان تُبلِّغ « فِتْزجِيبُون » الخطةَ أو تموتَ

فلما رَحَلَ الضابطانِ ، خرجت عاريةَ الرأسِ ، حافيـةَ القدم ، لا يَظْهَرُ عليها شيءٌ من علاماتِ التأهب لسفر طويل ، فَعَمَدَتْ إلى بقرتها فلما قرُبت منها استنفرَتها ، فشردَت خائفة مذعورةً . فخرجت وراءها تقتفى أثرَها مُظهرةً الفزَعَ من نِفارِها ، ولـكنها ما كانت فى الحقيقة إلا مُنفِرَةً لهـا . وما زالت كـذلك تقطع مرحلة بعد مرحلة ، والحرَسُ لا يَرَوْن إلا منظرًا طبيعيًا لاشُبهةَ فيه : بقرةٌ نافرة وامرأةٌ هائمة وراءها . فلما أَمِنَت العيونَ والرُّقباءَ ، وقد أضناها التعب ، تركت بقرتها وواصلت السيرَ وقد دَمِيَتْ قدماها ، ومزَّقت الأدغالُ ملابسها وهى تطوى الأرض ولا تَلوى على شئ : تصعّد على التلال ، وتَعبُرُ الجداولَ ، إلى غَسَقِ الليل ، وقد خَيَّم الظلام وأسبلَ سدُوله ، وأحاطت بها المخاوفُ . ولـكنها ثابرَت وما وَنَتْ حتى أدركت غايتَها عندشروق الشمس . فَمَثَلَتْ امام الضابط « فِتْزجِيبُون » ، وقَصَّتْ عليه القَصَصَ وخَرَّتْ مَغْشِيًّا عليها . فأقبلَ عليها هو ومن معه يتعهدونها حتى ثابَتْ إلى رُشْدِها ، ثم أجمعوا أمرهم ودبَّرُوا خُطَّتهم وسارَعوا إلى الهجوم ، وفاجَئُوا العدوَّ على غِرَّةٍ ، فَسُقِطَ فى يده . وهكذا دُوِّنَ اسم سيكورد فى صفحات تاريخ هذه الوقعة المجيدة إلى ما شاء الله

لورَا سِيكُورْد تَسْتَقْبِلُ فِى بَيْتِها المَلِكَ إِدْوَارْد السَّابِع
وَهُوَ وَلِىُّ العَهْد

ولما زار جلالة ملك الانجليز ادوارد السابع كندا سنة ١٨٦٠ وكان إذ ذاك وَلِيَّ العهدِ ، كانت سيكورد لا تزالُ على قَيْدِ الحياة ، فزارها وحادثها وَوَصَلها بِصِلاتٍ سنية أطْلَقَتْ لسانَها بالشكر والدعاء له

لِينا

(Lena)

(فتاة شَجيعة)

كانت فى إحدى قرَى جبال الألبِ الطليانية ، الواقعة على الحدود الشمالية الغربية ، فتاةٌ قد كفَلَتْها امُّها بعد أن مات أبوها دِفاعاً عن وطنه ، أيامَ كان نابُليُونُ الأكبرُ يَحْشُدُ الجيوشَ الجرارة ، ويسفِك الدماء مِدراراً ، طمعاً فى الاستيلاء على إيطاليا . وكانت « لِينا » فتاتُنا هذه لا تفتأ تذكرُ والدَها الفقيد ، وقلبُها ينفطر من أجله أسًى وأسفاً . ولم يكن لها سُلْوانٌ سوى أنه مات شهيد الوطنِ ، شهيدَ الحرية . فكان إذا قام بها هذا الخاطرُ وتمكّن منها ، تمنّت لو كانت رجلاً يموتُ هذه الميتةَ الطاهرةَ الشريفة . ولم يكن هذا شأن « لِينا » وحدَها ، بل كان سُكانُ إيطاليا جميعاً على هذا الشعور وتلك الحَمِية ، التى أذكاها فى نفوسهم خَوْفُهم على وطنهم من ذلك الفاتح

الهاجم . وقد كان الإيطاليون فى الملاحم التى جرت حينئذ يُهَيِّئُونَ على قُلَلِ الجبال حطباً يقوم بجانبه بعض الجنود ، حتى إذا لمحوا عن بُعدٍ جيوشَ الأعداء أشعلوه ، فيكون أذاناً بالخطر الدّاهم والعدوّ المُغير . فيأخذُ كلٌّ عُدَّتَه ويتحفزُ للقاء . ووافق فى يوم من أيام الأعياد أن استبطأ القومُ عدوَّهم ، ولها بعضُ الحرس عن واجبهم ، واحتشد الناسُ فى قُراهم ومدائنهم . فأدرك العدوُّ لَهْوَهم وانصرافهم عن واجبهم ، فأخذ يتسلق الجبال من جهاتٍ مُلائمة ، ويتخير الطرق لساعة الهجوم الفاصلة ، والمعمعة الحاسمة . وبينما هو كذلك كانت « لينا » تستريض بجوار بعض تلك الجبال ، فخطر لها أن تتسلق أحدَها تسرية لِلْهَمِّ عن نفسها ، وبَعثاً للنشاط والسرور . فلما أدركت القِمَّة إذا بها عند الحطب ولا رقيبَ له ، فنظرت يَمْنَةً ويَسْرَةً فإذا بعضُ الجند من العدو فى تدبير وتفكير ، بينما قومُها فى لهو وتغرير . فأَيْقَنَتْ أن الخَطْبَ حالٌّ والبلاءَ نازلٌ ، إن لم تسارع إلى إشعال الحطب . فأوقدته وكان منقوعاً فى زيت النِّفط فسرَت فيه النار كلمح البصر ، واندلعَ لَهَبُها . فرأته جنودُ العدو فجرَت تستطلعُ الخبرَ ، فلَمَحَت الفتاةَ هاربة . فأطلق بعضهُم النار عليها فأصابها فى ذراعها ، ولكنها من ذُعْرِها ووَجَلِها لم تُحِسَّ بالجُرْح إلا بعد أن بلغت كوخَها ، حيث غلبها الضَّعفُ فخرَّت مغشيًّا عليها . فجعلت أُمها تعتنى بها حتى أفاقت وقَصَّتْ عليها قَصَصَها . فَسُرَّتْ بشجاعة إبنتها ونَجْدَتها وصِدْق وطنيتها . وأما الحطبُ فَعَظُمَ اضطرامه ، وانعقد مع السُّحُب دُخانه .

« لِينَا » فِي سَبِيلِ الوَاجِبِ نَحْوَ الوَطَن

فَلَفَتَ أنظارَ القوم وهم فى غيّهم ونَشْوَة طرَبهم . فهبُّوا مذعورين خشيةَ أن يُصيبَ البلادَ مكروهٌ . فأقبلوا على الواجب ، وامتشقوا الحُسام ، وتأبَّطوا البنادق ، وأنذروا العدوَّ بالوَيل والثُّبور . فلما رأى صدق عزيمتهم، وحُسْنَ استعدادِهم،وشدَّةَ بأسهم ، أيقنَ بالفشل وتنحَّى عن مراكزه التى كان قد احتلها ، ورجع أدْراجَه . وكان « للينا » هذا الفخارُ العظيمُ والشرفُ السامى . فكأنها من ملائكة الرحمةِ ، هبطتْ فأنقذت قومها من كارثةٍ كادت تودِى بهم ، وَبليَّةٍ أوشكت أن تقضىَ عليهم. فهكذا الصادقات المخلصات ولمثل هذا فلتعمل العاملات.

إن فى ذلك لآيةً لأولى الألباب

فلورِنْسْ نايْتِنْجِيل

(Florence Nightingale)

هو اسم سيدة نبيلة ، أصبح الآن رمزاً للإنسانية، وعُنواناً على مبلغ ما تَصلُ إليه ربّاتُ الحِجال ، من العطف والحَنان والشهامة والكرامةِ . ظهر اسم فلورنس نايتنجيل ورَنّ صداه وتضوَّع نَشْرُه فى أيام حرب القرْم بين الروس والانجليز : إذْ وقف الفريقان كَفَرَسَىْ رهان ، يبذل كلٌّ مُهجته لإرغام خصمه لإحراز النصر والسيطرة على العالم . فسالتِ الدماءُ أنهاراً ، وزَهقت الأرواح ، وتمزقت الأجسادُ ،

(فلورنس نايتنجيل)

obeikan.com

فكنتَ إذا خُضْتَ ساحةَ الوَغى جزِعْتَ ، ونَدَبْت رجالا تَئِنُّ ، وأبطالاً تدْمَى ، وأُسودًا تجرّع سكَراتِ الموت فى الليالى الليلاء ، منبوذين بالعَراء . أىْ فلورنس مَلَك الرحمة ! أنتِ فيما بين هؤلاء تجُوسين خِلالهم ، وَتتَخطَّيْنَ صفوفهم ، وتحْنِين عليهم : تُحِسّين النبْضَ ، وتُضمِّدين الجِراحَ ، وتخفّفين الأتراحَ . فلِلّه قلْبُك ماأقواه ، ولله جَنانك ماأسماهُ ! جمعتِ حَوْلَكِ لَفِيفاً من شريفاتِ الأنفس والغاياتِ ، وكريماتِ الشمائل والمقاصد ، فكُنَّ نحو الأربعين ، ثم زِدْنَ حتى بَلَغْنَ مائةً وخمسين . أخذنَ على أنفسهن رِعايةَ الجَرْحى والمَرْضى الذين لَفَظَتْهُم رَحى الحرب . فأَنْعِمْ به مِنْ واجب وأَعْظِمْ بها من مُرُوءَة ! كُنَّ يَطفْنَ فى جُنْحِ الظلام تحملُ الواحدةُ قنديلها ، حتى إذا عثرَتْ على مَنْ هو فى حاجة إلى المعُونة والعطفِ تمهَّدَتْهُ وأسعفتهُ ، حتى يُفيق ويَثُوبَ إلى رُشْدِه ، ثم يُحْمَلُ إلى مستشفًى جَمَع أسبابَ الراحة وأدواتِ الإسعاف والمعونة ، لا يبرحه حتى يُبلَّ ويلبس ثوب العافية . هذا هو بعضُ ماأتته فلورنس من جلائل الأعمال . ابتدعت هذا النوع من الإسعاف والعناية بالجرحى . فتناوله الخَلَفُ من بعدها ونظموه ، ووصلوا به إلى ما يُسَمَّى الآن « بجمعية الصليب الأحمر . » ويعرف فى ممالك الإسلام باسم « الهلال الأحمر . » ولا يجهل أحد مقدار هذا العمل وما له من الأيادى البيضاء على المجتمع الانسانى : فقد نشر لواءَ البر والإحسان فى أنحاء العالم . فخضع له أقسى القُساةِ من

الغزاة ، وحنى له الرأس إجلالاً وإكبارًا . هذا النظام الجليل هو أثر من آثار سيدة ، وفكرة من بنات أفكارها ، وأمل من آمال فؤادها.

وُلدت فلورنس نايتنجيل فى مدينة فلورنسه سنة ١٨٢٠ م. فلما نشأت وترعرعت تعلمت فن التمريض ، حتى إذا أتمت دراسته أسست ملجأً فى شارع هارلى بلندن (وهو شارع النِّطاسيين من الأطباء إلى وقتنا هذا) . وكانت تقضى أوقاتها بهذا الملجأ ، تخفف الآلام بما فطرت عليه من الحُنُوّ وإنكار ذاتها . حتى إذا شُهِرَتْ حربُ القِرْم هرَعت إليها ، ودعت الناس للاكتتاب لعملها المبرور ، وحَضَّت النساء على مَدِّ يد المعونة . فجمعت أكثر من مليون فرنك ، والْتَفَّ حَوْلَها من السيدات جمٌّ غفير ممن يستعذبْن الألم فى سبيل تخفيف الألم . وبعد انتهاء الحرب بقى كثير مما جُمع من المال ، فوقفته على توسيع نطاق مستشفى سان توماس بلندن ، وهو من أشهر المعاهد الطبية المعروفة هناك الآن . وأخذت على نفسها القيام بتدريس فن التمريض به . ومن ذلك نشأت فكرةُ تدريب السيدات على هذا الفن . ثم شاعت فى جميع أنحاء العالم الراقى ، فاحتذاها ونَسَجَ على مِنوالها . وأُنْعِمَ عليها بمبلغ خمسين ألف جنيه خصصته لتأسيس «دار نايتنجيل للمرضات». ومنحها ملوك أوربا ألقابَ الشرف « والأوْسمة » اعترافاً بفضلها وإقرارًا بجميلها على النوع الإنسانى

وإنما المرء حديثٌ بعدَهُ فَكُنْ حديثاً حَسَناً لِمَنْ وَعَى